صفحات من حياة شيخ الإسلام

للشيخ خالد الراشد

الباب الأول: التمهيد والحمد والشهادة

يبدأ النص بحمد الله واستعانته وطلب المغفرة والاعتصام بالله، وذكر الشهادتين.

يوضح أهمية التقوى، والالتزام بكتاب الله وسنة رسوله، والتحذير من البدع وكل ما هو مخالف للهدي الصحيح.

يشير إلى أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها، وهم المجددون، ومنهم شيخ الإسلام.

الباب الثاني: شخصية ابن تيمية وصفاته

الصفات العلمية: بحر من العلم، حافظ ومجتهد، واسع الاطلاع على القرآن والسنة، بارع في الفقه والحديث واللغة والنحو والعقلية.

الصفات الأخلاقية: زاهد، عابد، صابر، شجاع، قدوة في التواضع والحلم والمهابة.

الصفات العملية: قامة جهادية، سيف مسلول على البدع وأهل الأهواء، ثابت على الحق، داعية إلى الله وناصر السنة.

الموقف من المخالفين: صادق، لا يخاف إلا الله، جريء في مواجهة الظلم وأصحاب البدع.

الباب الثالث: العصر الذي عاش فيه شيخ الإسلام

شهد عصره اضطرابات سياسية واجتماعية ودينية.

انقسام بلاد المسلمين إلى دويلات صغيرة، وظلم الحكام، انتشار الفقر والغلاء والفساد.

ظهور الفرق المنحرفة والبدع، والنشاط العدائي لأعداء الإسلام (مثل الصليبيين والتتار).

مع ذلك، كان هناك أيضاً نفضة علمية وأئمة كبار، والشيخ قام بإصلاح الأمة وإعادة الناس إلى دينهم.

الباب الرابع: موقفه الجهادية والسياسية

مواجهة الحملات الصليبية والتتارية، وإظهار شجاعته وحسن قيادته.

موقفه مع ملك التتار "قاذان" وأمنه لدمشق بفضل حكمته وشجاعته.

مشاركة مباشرة في القتال مع تحريض الآخرين على الجهاد.

كان يثبت الناس ويحثهم على النصر، ويعطي الأمل والطمأنينة للمجتمع المسلم.

الباب الخامس: الإصلاح الاجتماعي والدعوي

جال في الأسواق والمجتمعات لإقامة العدل وفرض النظام.

أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، أوقف الفواحش، أغلق الحانات، حدّد الأسعار.

نصح الحكام بصدق، ولم يخف في قول الحق، وكان مثالاً للعلم والعمل الصالح.

الباب السادس: جهوده العلمية والتعليمية

نشأ في بيت علم وتقوى، حفظ القرآن منذ صغره وأتقن علوم السنة.

بدأ التدريس منذ شبابه المبكر، وجلس لتدريس الناس في دمشق.

تميز بأسلوبه الفريد في الدروس: بلا تحضير مسبق، مليء بالعلوم والأدلة والحِكم، فيضٌ علمي عميق.

أجاز للطلاب وللعلماء، وفتح أبواب الثقافة والعلوم المختلفة عليهم.

الباب السابع: الورع والزهد والعبادة

مواظب على العبادة والصلاة والذكر والاستغفار.

اعتبر العلم والعمل لله أساس الحياة، وقال: "اللذة التي تبقى بعد الموت هي لذة العلم والعمل لله".

التوحيد عنده هو إخلاص القلب لله بالكامل، محبة الله واتباع أوامره والابتعاد عن كل ما يغضبه.

الباب الثامن: موقفه الجريئة في مواجهة الظلم

صبر على السجون والتهديدات، وواجه الظلم بالحق والصبر.

لم يخشَ إلا الله، وكان ذا شخصية قوية وهيبة جعلت الأعداء يخشونه.

حافظ على استقلالية قراراته، سواء في قضايا سياسية أو دينية.

ثباته على الحق جعله مصدر إلهام للطلاب والناس عامة.

الباب التاسع: إرثه وتأثيره

ألف أكثر من ثلاثة آلاف كتاب ورسالة، وترك إرثاً علمياً ضخماً.

عاد الأمة إلى الحق بعد الفساد والانحراف، وكشف زيف البدع والمذاهب المنحرفة.

ظل حياً في النفوس بعد موته، وذكره حاضر في الدروس العلمية والأجيال المتعاقبة.

الخاتمة

شيخ الإسلام ابن تيمية: فارس السيف والقلم، مجدد الأمة، مصلحها، ومربي أجيالها بالعلم والدعوة والعمل الصالح.

قوته في العبادة، وحبه للعلم، وثباته على الحق جعل منه قدوة لكل مسلم يريد اتباع السنة والتمسك بالإسلام.

النص الكامل للمحاضرة

صفحات من حياة شيخ الاسلام

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِلُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفِسِنَا وَمِنْ سَيِعَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَقُوا اللَّهَ حَقَّ ثُقَافِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَقُوا اللَّهَ حَقَّ ثُقَافِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا صَدِيدًا يُصلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَرْفِلْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُبِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَاجَ فَوْزًا عَظِيمًا أما بعد فإن أفضل الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بذعة وكل بذعة ضلالة وكل ضلالة في النار رباد الله في الظروف الطعبة وفي خضم الأحداث وفي شدة الأحوال والأهوال يُعرَف الرجال ومن فضائل هذه الأمة وترامتها على الله ما أخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر بيها هؤلاء المجددون صناعة ربانية ولهم قدرة على التحمل والتباد كالرواف الجبال فالأمة تثبت بثباتهم هؤلاء الرجال بحر في العلم وقوة في الحجة وشجاعة عند النزام هؤلاء الرجال أصحاب مواقف مشهورة وجريئة يقدمون حين يخذهم الشجعان وينصقون حين يسكت من يخوفهم الشيطان قال الله إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون فأولياء الشيطان يخافون من الشيطان أما أولياء الرحمن فلا يخافون من الشيطان ولقد اخترت لكم من شهد القاطي والداني بفضله وعلمه وجهاده شهد بذلك حتى من كان من ألد أعدائه قال له الحافظ ابن دقيق العيد ما كنت أظن أن الله دقيق يخلق مثلك وقال عنه الحافظ الزهبي رحمه الله لو حلبت بين الركن والمقام أني ما رأيت بعيني مثله ولا والله ما رأى نفسه في العلم إنه بحر لا تاحل له وكنز لا نظير له لعلكم أرثموه إنه من فاض في المكتبات بكتبه ومؤلفاته ونطقت الألف لكلماته وعباراته قال عنه الحافظ المزيو رحمه الله ما رأيت مثله ولا رأى مثل نفسه وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله والسنة رسوله ولا أتبع له ما منه وهذا هو الذي صنع هذا الخفض البطل العلم والعمل غر نعيمه بالعمل وإلا فالذين يعلمون كثير لكن أين الأثر لن أطيل عليكم فهو أشهر من أن تحتويه العبارات والكلمات إنه الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المجتهد الزاهد العابد إمام الأئمة وقدوة الأمة علامة العلماء بركة الإسلام وحجة الأعلام درهان المتكلمين وقامع المرسدعين وناصر سنة سيد المرسلين إنه تقي الدين أبو العباد أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن كيمية الحراني قدس الله روحه وأكرن نتوى إذا قيل اسمه قيل شيخ الإسلام وظل كذلك وسيظل شيخا للإسلام وسيظل شيخا للإسلام غدا كما كان بالأمس ولا ينكر ذلك إلا الجفال كتب ابن الزملكالي على بعض صصانيب شيخ الإسلام هذه الأبيات ماذا يقول الواطفون له وصفاته جلة عن الحصري هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهري هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجري انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة والشرم والتواضع والحلم والإنابة والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر أنواع الجهاد مع الصدق والأمانة والعبثة والصيانة وحسن القصد والإخلاص والابتهال إلى الله وتسرة الخوف منه والمراقبة له والشدة التمسك بالأثر والدعوة إلى الله وحسن الأخلاق ونفع الخلق والإحسان إليهم والصبر على من آذاه والصدف عنه بل والدعاء لأعدائه بسائر أنواع الخير كان رحمه الله وقدس روحه سيفا مسلولا على المخالفين وغطة في خلوق أهل الأهواء من المرتدعين وإماما قائما لبيان الحق ونصرة الدين كان بحرا لا تكدره الدلاء وحبرا يكتدي به الرجال الألباء ظنت بذكره الأنفار وظنت بمثله الأعفار اشتغل بالعلومي وكان ذكيا شفير المحبوب اماما في التفسير وما يتعلق به عارفا بالفقه واختلاف العلماء مطقنا للنحو واللغة وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية وما تكلم معه أحد في فن إلا ظن أن ذلك الفن فنه ورآه عارفا به ومطقنا له أثناء حياته في الدفاع عن الكتاب والصنة وفي سبيل ذلك ما لا يوصف من الأذى والعذاب جعل نفسه وقفا لله تعالى ولنصرة دينه فأضغط الأمة في عصره للمحن والإنفلاءات التي كادت تعطف بأركانها فقام وصال وجال يوم أن عز الرجال قام لنصرة دين الله بابل اللسانه وقلمه ويده وماله ونفسه وده للباطل عباد الله لقد ثنف عن حياة شيخ الإسلام كثير من المصنفات لبيان عظمة شخصيته في شتى جوانب المعرفة وإن الذي يقرأ في تلك المصنفات ليقف حائرا أمام تزاحم المعلومات وكثرتها ولقد اخترت وأنا أقرأ ماذا سأكتب عنه وماذا سأدع وماذا سأختار ولكن ولكن لنعرف شيخ الإسلام حق المعرفة تعالوا تعالوا نقف على أوضاع العصر الذي عاش فيه شيخ الإسلام حتى نعرف الدور الأظيم الذي قام به هذا الكذب الرواه عباد الله لقد شهد العصر الذي عاش فيه شيخ الإسلام حوادث خطيرة ونائلة كثيرة نتيجة لسياح الثتار لبلاد الإسلام وسقوط الخلافة وقتل الخليفة أسوأ قتلة شهد ذلك العصر أيضا اضطرابا وانحراطا في مختلف جوانب الحياة فعاش شيخ الإسلام في عصر حالك أسود متلاطم الأموات انتشر فيه الضعف والفساد والانحراط في النواحي العلمية والعقبية أما الحالة السياسية فقد استثمت بالتفكك والاضطراب فلقد انقسمت بلاد المسلمين إلى دويلات وممالك صغيرة تنظر كل مملكة أو دويلة إلى الأخرى نظرة العدى والحكام يعاملون رعاياهم لتسلط وظلم شديد يسومونهم الخصة والهوان مما أجى إلى ضعف المسلمين وأكفدهم الثقة بأنفسهم فطمع فيهم أعداؤهم وهم أعجز من أن يدفعوا عن أنفسهم الأخطار الدافمة وقد أشار ابن الأثير رحمه الله إلى الأخطار التي كانت تتهدد المسلمين في تلك الأزمان فقال لقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم منها أقبل من المشرق ففعل الأفعال التي يتعظمها كل من سمع بها يقول والكلام له أيل ابن الأثير ولقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها فأنا أقدم رجلا وأخر أخرى فمن يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام من

يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين وأن يكون عليه ذكر ذلك فيا ليت أمي لم تلبني ويا ليتني نست قبل هذا وكنت نسيا منفيا إلا أنني حسني جماعة من الأصدقاء على تصفير تلك الأحداث وأنا متوقف ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجب أن أفعل يا الله كم من المحل والبلاية تعرضها لهذا الدين وأهله ولو لم يكن دين حق ودين الأديان المحرفة يريدون أن يطلعوا نور الله بأقواهم ويأبى الله إلا أن يسعى نوره ولو كره الكافرون قال رحمه الله ولا زال الكلام لابن الأسير هذا الفعل يعني تصفير تلك الأحداث يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى العقمة الليالي والأيام عن مثلها عمة الخلائق وخصة المسلمين خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدنها ولعل الخلق لا يرغن مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتثنى الدنيا إلا إذا خرج يأجوج ومأجود إن هؤلاء الهمج الستر لم يبقوا أحدا بل قتلوا النساء والرجال والأطفال وقتلوا الأجنة فإنا لله وإنا إليه راجعون عباد الله ومما بلي به الإسلام والمسلمون أيضا في عصر شيخ الإسلام خروج الفرنجة لعنهم الله من الغرب إلى الشام وقصدهم ديار مصر والشام وغيرها ليملكوها ولولا لطف الله ونصره عليهم فتمكنوا من ذلك ومما بلي به الإسلام والمسلمون أيضا في ذلك العصر أن السيف بينهم مسلول أي بين المسلمين فالفتنة قائمة ولقد أشار شيخ الإسلام إلى الأفذاب التي أدت إلى خروج الطالبيين وأدت إلى حدوث الفتن بين المسلمين فقال فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الأعداء يعني على المسلمين أليس هذا عباد الله سبب ما يحدث لنا اليوم فأين الذين يفقهون أما الحالة الاجتماعية في ذلك العصر فإنه نظرا للحالة السياسية المتربية فلقد عكس ذلك على الحالة الاجتماعية التي كانت مضطربة وغير مستقرة فقد أدت الأخطار المحيطة والوافئة لبلاد المسلمين وكثرة الغارات من الكثر والطالبيين كل ذلك أدى إلى فقدان الأمن واضطراب النظام وانتشار الفدع والخوف في قلوب المسلمين حيث أصبح أحدهم لا يطمئن على نفسه وماله وأدى ذلك إلى نقص في الأموال والثمار نتيجة لعدم اهتمام الناس بالزراعة والعمل مما أدى إلى سوء وكفاد في الحالة الاقتصادية وانتشار الفقر والغلاء واحتكار السلع وبيعها بأسعار باهظة ثم نزول الجراد الذي قضى على البقية الباقية من الزرع والثمار أما الأحوال العلمية والعقبيات فلقد شهد العصر نفضة علمية كبيرة رغم المصائب والأحداث التي نزلت بالناس في ذلك الزمان فقد كانت في ذلك العصر إيمان وكفر وتقوى وزندقة وأمن واضطراب وسلم وحرب وقد وجد في ذلك العصر أئمة كبار وكلهم بل جلهم شهد لشيخ الإسلام بالعلم والفضل ولكن الذي كان يطلق شيخ الإسلام رحمه الله وغيره من أهل الخير أكثر من أي شيء آخر هو كثرة الفرق الإسلامية ونشاط أتباعها ضد الإسلام ونشاط أتباعها ضد الإسلام وأهله فأصلحهم حالا من كان يقف موقف المتفرج كالصوفية أو كان يمد يد المساعدة والسرنجة الصليبيين ضد المسلمين كالإسماعيلية الباطنية والرافضة المسيرية فقد كانت هذه الفرق حربا على الإسلام والمسلمين معلنة ذلك بالسلاح والكلام كالباطنية أو مفسدة لعقائد الناس في ذلك الزمان المطارد من أفكار المعتزلة والفلاسفة في مثل هذه الظروف في مثل هذه الظروف السياسية والاجتماعية والدينية خرج الشيخ الإسلام خرج ليعيد الأمة إلى ربها ويجمع الله به شتاتها خرج ليعيد الطمأنينة والسكينة إلى النفوس المضطربة والقلوب الخائفة فرفع راية الجهاد ونصر السنة وقمع البذعة وما أحرج الأمة لمثله اليوم لقد كانت الأمة في أمثل حاجة إلى إصلاح شامل يقوم به مصلح جريء يعيد الأمور إلى نصابها ويصلح ما فسد منها ولقد كان شيخ الإسلام ذلك الرجل فماذا صنع ذلك العالم البطل المغوار هذا ما سأسوقه إليكم عن بعض من مواقف ذلك العالم الرباني باختصار وإلا فالصفحات لا تكفي لكل الأخبار قد أطيل عليكم ولكن اقبلوا مقدما مني الاعتذار عباد الله ذكرت لكم أن العالم الإسلامي في ذلك العصر تعرض لهجمات الصليب وهجمات التتار فقام العالم المجاهد بالتصدي لتلك الحملات ولم يختفي بالجلوس في داره وإثبار الفتاوى وإليكم الدلائل والأخبار لقد كان لشيخ الإسلام رحمه الله مشاركات جدية في حرب هؤلاء في حرب هؤلاء الإترنجة والتتار جافدهم بلسانه وسنانه وماله فكان يعقب المجالس العلمية في المسجد ويحض الناس على الجهادي وبذل النفقة في سبيل الله وحين حاصر التتار دمشق خرج في جماعة من العلماء لمقابلة ملكهم قاذان وما أدراك ما قاذان قال ابن فضل الله العمري رحمه الله وأطفن ذلك الموقف وتلك المقابلة قال ومن مواقفه الشجاعة أي من مواقف شيخ الإسلام التي تعد في حياته شامة متميزة وعلامة بارزة موقفه في مجابهة قاذان سلطان التتار قال جلف الشيخ إلى قاذان حيث تجم الأسد في آجامها وتسقط القلوب دواخل أجسامها وتجد النار فسورا في ظرمها والسيوف تجد فرقا في قرمها خوفا من ذلك السبع المختال والنمرود المختال والأجل الذي لا يدفع بحيلة مختال فجلس إليه شيخ الإسلام وأسمعه شديد الكلام وأومأ بيده إلى قدره وواجهه ودرأ في نحلة من شيخ الإسلام الدعاء فدعى شيخ الإسلام على قاذان فدعى شيخ الإسلام على قاذان وقاذان يؤمن على دعائه انصاع قاذان لكلام شيخ الإسلام وأعطى الأمان لدمشق ولأهلها وأعجب بشجاعة شيخ الإسلام وحابه لإخلاصه وإيمانه فهمتم فهمتم لماذا حابه لإيمانه واخلاقه. ولقد فشي عليه القباط والعلماء الذين كانوا معه من ان يقتله قادان. ولكن الله هو الذي نجاه.

لقد استشعر شيخ الاثنان واستحضر قولا رحماني لموسى وهارون عليهم السلام وهما يدخلان على فرعون. فقال ربنا اننا نخاف ان يطرط علينا او ان يضغى. قال لا انني معكما اسمعوا وارى.

فكان لما قال شيخ الاسلام لقاذان. انت تدعم انك مسلم. ومعك قباط وشيوخ ومؤذنون.

على ما ظلغنا. ثم غذوتنا وابوك وجدك كان كافرين وما عمل الذي عملت. اهد فوقف وانت اهدت فغدرت.

وقلت فما وقيت وجرت. من يستطيع ان يقول مثل هذا الكلام؟ الا شيخ الاسلام. فقال قاذان لمن حوله؟ من هذا الشيخ؟ فاني لم ارى مثله.

ولا اكبر قلبا منه. ولا اوقع من حديثني في قلبي. ولا رأيتني اعظم من القيادة لاحد مثل القيادة له.

فقيل له انه شيخ الاسلام. انه ابن تيمية. ولما سئل شيخ الاسلام عن هذا السباتي قال واسمع ما قال.

قال لن يخاف الرجل غير الله الا لمرض في قلبه. لن يخاف الرجل غير الله الا لمرض في قلبه. فما اكبر مرض القلوب اليوم.

فلما خرج هو ومن معه من عند قاذان قال له احد القباط. قال له القباط والعلماء. كدت تهلكنا كدت تهلكنا معك.

فلن اتحبك في عودتك. فقال شيخ الاسلام وانا ايضا لا اتحبكم. فساروا من طريق وصار شيخ الاسلام من طريق اخر.

فسمع الناس بما فعل شيخ الاسلام. فخرجوا يستقبلونه. فوصل الى بمشر ومن حوله ثلاثمائة فارس.

يحيطونه من كل مكان. اما القضاء والدعاء والجبناء فاعترضهم نصوص في طريقهم. وترقوا كل ما معهم حتى ثيابهم.

اما شيخ الاسلام ومن ادواره ايضا انه خرج الى مصر ليستحصى السلطان الناصر على الخروج لمواجهة الستار. وكلمه كلاما فيه شدة. وما ذال به حتى خرج الى الشام لمجابهة الستار.

لم يكفي رحمه الله باسدار الكتاوى والتحريض. بل شاركا فعلا في القتال. وكان له ثولات وجولات.

وصبر اعظم صور البطولة. حتى ادمل الجميع لما تمتع به من رباطة جأش وتباة قلب في ارض المعارف. فكان الناس يلجأون اليه بعد الله ليثبت قلوبهم.

ويصبرهم. ويشجعهم على مجابهة الاخطار. وكان يبشرهم بالنصر ويحلف بالله ويقول لهم والله الذي لا اله الا هو انكم منصورون.

كان يثبت الناس ويحلف بالله لهم قائلا والله الذي لا اله الا هو. انكم منصورون. فيقول له الامراء قل ان شاء الله فيقول ان شاء الله تحقيقا لا تعليقا.

قال الحافظ فراج الدين رحمه الله عن شيخ الاسلام كان اذا ركب الخيل يجول في العدو كاعظم الشجعان. ويقوم كأثبة الفرسان. ويمكي العدو من كثرة البكي بهم.

ويقود بهم خوض رجل لا يخاف ولا يخاب الموت. يقول عنه الحافظ الصفدي رحمه الله. هذا الى كرم يضحك البرق من غمامه.

وشجاعة يصر منها قصوره يعني الاتج واقدام واقدام يتأخر عنه عن ترى. قال احد امراء اسلام قال لي الشيخ يوم اللقاء ونحن بمرج الصفر. وقد ترى الجمعان.

قال يا فلان اوقفني موقف الموت. يقول الشيخ الاسلام لاحد امراء الجيش. اوقفني موقف الموت.

قال فسقطه الى مقابلة العدو. وهم منحذرون كالسيل. ثلوث اسلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم.

ثم قلت له يا سيدي هذا هو موقف الموت. وهذا العدو قد اقبل تحت هذه الغبرة المنعقدة. فدونك وما تريد.

قال فرأيت منه عجبا. رفع طرطه الى واشقص بطره. وحرك شفتيه طويلا بالدعاء.

ثم انطلق كالتهمي في صفوفهم. اما انا فخيل الي انه دعا عليهم. وانه وان دعاءه استجيب منه في تلك الساعة.

قال ثم اختفى عن بطري وسط صفوفهم. ولم اره حتى فتح الله لنا ونصرنا. وانحاذ التتارو الى جبل صغير اصموا به من سيوف المسلمين تلك الساعة.

وكان اخر النهار. قال واذا انا بالشيخي واخيه وسيوفهما ملطخة بالدماء. يصيحان باعلى صوتيهما تكبيرا وتحريضا على القتال.

وتخويثا للناس من الفرار. يرددان قول الحق جل في علاه. يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا فلا تولوهم الاذبار.

يرددون قول القفار. يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم سئة فاذقثوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون. يرددان قول الجبار فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب.

حتى اذا اتقنتموهم تشد الوساق. فاما منن بعد واما فداء حتى تضع الحرب او دارها. ذلك ولو يساء الله من تفر منهم.

ولكن ليبدو بعضكم ببعض. والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم. فهديهم.

ويصلح بالهم. ويدخلهم الجنة. عرفها لهم.

يا ايها الذين امنوا. ان تنصروا الله ينصركم. ويثبت اقدامكم.

والذين كفروا فتاعة لهم. والذين كفروا فتاعة لهم. فتاعة لهم.

واضل اعمالهم. هم ومن ولاهم؟ قال فلما رأيته قلت يا سيدي لك البشارة. لك البشارة بالنصر فانه قد فتح الله ونصر.

وهم التسار. محطورون بهذا السبعي. وفي غد ان شاء الله تعالى يؤخذون عن اخرهم.

قال فحمد الله تعالى. واثنى عليه بما هو اهله. ودعا لي في ذلك الموطن دعاء.

وجدت بركته في ذلك الوقت وبعده. هذه بعض من مواقف شيخ الاسلام الشجاعة والجريئة. وغيرها كثير.

وغيرها كثير من مواقف العالم المجاهد الذي احب الجهاد ودافع عن اهله قائلا. اهل الجعور لا يبطون لاهل الصغور. اما الفتاد الاجتماعي من غش في البيت.

وتبكي في المكايل والموازين. وانتشار اداث وافكار بقدوم التكار. فلقد تفضى شيخ الاسلام لذلك.

بالامر بالمعروف. والله عن المنكر. فالعالم الرباني يعلم ان المجتمعات لا تصلح الا بهذا.

ولا تنقمع الرذيلة. وسنتشر الفضيلة. ان بهذا.

اي بالامر بالمعروف والله عن المنكر. فجال وصالة الاسواق والتجمعات. وكان له دور في استثباب الامن.

وتحديد الاسعار. وادالة الفواحش والمنكرات. واراقة الخمور.

واغلاق الحانات. وكان يقول لابد لابد من العلم بالمعروف. لابد من العلم بالمعروف والمنكر.

والتمييز بينهما. ولابد من الرزق واللين. ولابد للمنكر ان يكون حليما صبورا.

يقول عنه الذهبي رحمه الله. كان قوالا كان قوالا بالحق. نسهاء عن المنكر.

لا تأخذه في الله لو لا سطوة واقدام. انه شيخ الاسلام. انه شيخ الاسلام صاحب الشخصية القوية.

والنفس الابية. التي لا تهاب اكتعاف. كان وقف مرارا امام الصلاطين والظلمة.

ونصحهم وخوفهم واغرض لهم الخطاب. انه شيخ الاسلام. التابع على الحق.

والذي ثبت بثباته على الحق رجاله. فها تلميذه ابن القيم رحمه الله يقول وعلم الله ما رأيت احدا اطيب عيش منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم ضدها ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والارهاب وهو مع ذلك من اطيب الناس عيشا واشرحهم فضلا واقواهم قلبا واترهم نبفا تلوح نظرة النعيم على وجهه وكنا والكلام لابن القيم اذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الضنوز وضاقت بنا الارض اتيناه فما هو الا ان نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب شراحا وقوة ويقينا وطمأنينة فسبحان من اشهد عباده جنته فسبحان من اشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم ابوابا في دار

العمل فاتاهم من روحها ونسينها وطيبها ما استبرغ قواهم لطلبها والمصابقة اليها انه شيخ الاسلام ناصر الصنة وقامع البدعة لقد كثرت في عصر لقد كثرت في عصر شيخ الاسلام الفرق والجماعات كل حزب بما لديه في الفرحون واخذت هذه الفرق تتجادل فيما بينها وتتناحر حتى وصل بها الامر الى ترك الكتاب والسنة ورميها وراء ظهورهم فقام شيخ الاسلام في وسط هذا الواقع المحبن المريض فقام شاخصا كالرواتي ينادي ويعمل للعودة الى المنبع الاصيل لهذا الدين فتعرض في سبيل ذلك الى كثير من المحن والخطوب ولكنه صبر واحتسب حتى اثمر هذا الصبر والاحتساب لكنه صبر واحتسب حتى اثمر هذا الصبر والاحتساب وهدى الله به رجالا كثيرا من اهل المنل والنحل واحيى الله به الامة بعد ان شاد ان يذهب ريعها. قال الحافظ ابن الزملكاني رحمه الله ما رأينا في عصرنا ما رأينا في عصرنا هذا من يستجل النبوة المخمدية وسننها من اقواله واقعاله الا هذا الرجل يسهد القلب الصحيح ان هذا هو الاتباع حقيقة ويقول الحافظ الزهبي رحمه الله ولقد نفر الصنة المهضة والطريقة السلفية واحتج ببراهين ومقدمات وامور لن يسبق اليها واطلق عبارات احجم عنها الاولون والاخرون فابوا وجسروا عليها حتى قام عليه خلق من علماء نصر والسام قياما لا مزيد له بدعوه نابروه كابروه كابروه وهو ثابت لا يداهن ولا يصاب بل يقول الحق المرء الذي ادى اليه اجتهاده وحدة ذنبه وسعة دائرته في السنن والاقوال وجرى بينه وبينهم حملات خربية ووقعات شامية ومصرية وانتصر الحق به وذهب الباطل ان الباطل كان فهوكا.

انه سيف الاسلام السيف المسلوم على اهل البدع والاهواء. وفي ذلك يقول الحافظ البدع رحمه الله. واما ما خطه الله تعالى من معارضة اهل البدع في بدعهم.

واهل الاهواء في اهوائهم. وما انفه في ذلك في دحض اقوالهم. وتبديد امثالهم واسكالهم.

واضهار اوارهم. وانتحالهم وتبديد شملهم. وقطع اوصالهم.

واجوبته عن شبههم السيطانية. ومعارضاتهم النبتانية. للسريعة الحنيسية المحمدية.

بما منحه الله تعالى من البصائر الرحمانية. والدلائل النقلية. والتوضيحات العقلية.

حتى شبقناع الحق. وبان فيما جمعه في ذلك وعلفه. التذب من الصدقي.

حتى لو ان اصحابها احياء ووفق لغير الشقاء. لاذعنوا له بالتصديق. ودخلوا في الدين العسيق.

عباد الله. هذا بعض ما اختص به شيخ الاسلام لكشف المذاهب الزائغة. فاعلنها حربا ضروسا عليهم.

كشف فيها استارهم. وهتك فيها اخبارهم. وما اراد من ذلك الا ان يعيد للاسلام نظارته.

التي شوه هؤلاء ببعدهم عن الكتاب والسنة. واسمع طرفا من المواجهات. كشف زيف اليهود.

وبين مخازيهم. وعرف طوائف النسارة. والف فيهم الجواب الصحيح.

لمن بدل دين المسيح. وسحق اهل الالحاد سحقا. والف من هذا السنة في بيان ظلال الراتبة.

وبين اكبار شطط وجور الخوارج. وبين كيف مرقوا من الاسلام. كما يمرق السهم من الرمية.

ولم يدعي المرجعات. ولا المعطلة. ولا الجهنية.

وناظر المعددنة. وصحح المفاهمة للاشاعرة والصوفية. واتبعهم ببيان خطأ القدرية والجبرية.

من يستطيع مواجهة كل هؤلاء? من يستطيع مواجهة كل هؤلاء? الا شيخ الاسلام ابن فيمية. انه شيخ الاسلام. الصابر على الانتحان والبلاء.

على تتابع الليالي والايام. لانه يعلم ان الطريق ليس مفروش بالورد والازفار. بل مصائب وآلام.

ولانه ما رفع شعار الحق احد الا اوذي وارسلي. ليعلم الله الصادقين. ويصبح الكاذبين.

ولقد نقي الشيخ الاسلام في سبيل دعوته من الاذى. ما الله به عليم. ولولا عظيم ثقته بربه.

وعظيم وعظيم صبره ويقينه. لم يستطاع ان يكبث امام الصنوف الاذى والتهوين. وهل تنال الامامة في الدين الا بالصبر واليقين؟ كما قال رب العالمين.

وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا. وكانوا في اياتنا يوقنون. اذوه في نفسه.

واستهموه بالكفر والضلال. واستروا عليه الكذب والاقاويل. اذوه في جسده بالضرب والاعتداء.

نتيجة التحريض من حسابه العلماء. كما حطل حين اعتدى عليه جماعة من الغوقائية في حي من احياء القاهرة. فتجمع محبوه ليسأروا له.

ولكن الشيخ الاسلام ردهم. ولم يأذن لهم بذلك وقال اما ان يكون الحق لي او لكم او لله. فان كان الحق لي فهم في حل منه.

فان كان الحق لي فهم في حل منه. وان كان لكم فانكم لم تسمعوا مني ولم تستفتوني. ففعلوا ما شئتم.

وان كان الحق لله فالله يأخذ حقه ان شاء كما يشاء. صدقوني. ان سلامة الصدر واحدة من الاسراب التي ميزت شيخ الاسلام وارتقت به الى منزلة العظامة.

يقول ابن القين وددت اني كنت لاصحابي كما كان شيخ الاسلام لاعدائه. وددت اني كنت لاصدقائي واحبابي. كما كان شيخ الاسلام لاعدائه.

اما التجن والاعتقال فقد كان لشيخ الاسلام نطيبا وافرا منه. فقد سجنت لمصر. ونطلع الى الاسكندرية.

وسجنا في الشام. وظل حبيث القلعة حتى مات وهو في سجنه. وهكذا يدفع الصادقون سمن صدقهم.

والسجن طريق ارفه حتى الانبياء. كما قال الله عن يوسف عليه السلام. فلبس في السجن بضع سنين.

وفي سجنه اطلق شيخ الاسلام اجمل العبارات. من سجنه وفي خلوته مع الله اطلق اجمل العبارات والتي تستحق ان تخطى وتكتب بماء الذهب كما يقولون. من تلك العبارات قوله ما يصنع اعدائي بي.

انا جنتي وبستاني في صدري. اذا رحت فهي معي لا تسارقني. ان حب في خلوت.

وقتلي شهادة. واخراجي من بلدي سياحة. المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى.

المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى. والمأسور من اثره هواه. وفي العلم يقول لا ريب ان لذة العلم اعظم اللذات.

واللذة التي تبقى بعد الموت. وتنفع في الاخرة هي لذة العلم. هي لذة العلم بالله.

والعمل لله. وهو الايمان به. وقال في العلم ايضا كلاما عجيبا.

قال حصول العلم في القلب كحصول الطعام في الجسم. فالجسم يحس بالطعام والشراب. وكذلك القلوب.

تحس بما يتنزل اليها من العلوم. التي هي طعامها وشرابها. اما في الجهد والورع.

والعبادة. تسمع اروع العبارات. قال اولياء الله كم الذين يستبعون رضاه.

بفعل المأمور. وترك المحبور. والصبر على المقدور.

والقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يلتد ولا يسر ولا يطيب ولا يكتن ولا يطمئن الا بعبادة ربه. وخبه والانابة اليك. والسرية سرية القلب.

والعبودية هي عبودية القلب. كما ان الغنى غنى النفس. في الدنيا جنة من لن يدخلها لا يدخل جنة الاخرة.

ومن اراد السعادة الابدية. بل يلزم عسبة العبودية. واعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

وله ايضا في التوحيد. الذي هو حق الله على الابيض. عبارات وعبارات.

فقال رحمه الله كمال التوحيد ان لا يبقى في القلب شيء لغير الله اصلا. بل يبقى العبد مواليا لربه في كل شيء. يحب من احب وما احب.

ويبغض من يبغض وما ابغض. ويوالي من ولا. ويعادي من عادا.

ويأمر بما يأمر. وينهى عما نهى عنه. الرب سبحانه يريدك لك.

ولمنفعتك بك. لا ينفع بك. وذلك منفعة عليك بلا مضرة.

فتتدبر هذا. الرب يحب ان يحب. والمحب الثام لا يؤثر فيه لوما لا وعدل العادل.

بل ذلك يغريه من اعظمة المحبة. وكل نعمة من الله عدل. وكل نعمة من الله فضل.

ولا تكون العبادة الا بمحبة المعبود. ولا يكون حمد الا بحب المحمود. وهو سبحانه المعبود والمحمود.

اطلت عليكم واكرر الاعذار. ولكني والله ما قلت بحقه الا ليسير. ولكني والله ما قلت بحقه الا ليسير.

نزعني الله واياك بالقرآن العظيم. ونزعني واياك لما فيه من الايات والذكر الحكيم. اقول ما تسمعون.

واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه. انه هو الغفور الرحيم. الحمد لله على احسانه.

والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه. واشهد ان لا اله الا الله. وحده لا شريك له تعظيما لشأنه.

واشهد ان محمد عبده ورسوله الداعي الى رضوانه. اللهم صلي وسلم وبارك عليه. وعلى آله وصحبه واخوانه.

اما بعد عباد الله. اوصيكم ونفسي بتقوى الله. ومن تقواه السير على خطى سيد المرتلين.

وعلى خطى اتباعه الاغرار المخلوقين. ومما لا تكفيه ان ابن سيمية احد هؤلاء. انه شيخ الاسلام الذي ملأ الدنيا بعلمه.

انه فارس السيف والقلم. فكان بحق كما قال الشاعر. الخيل والليل والبيداء تعرفني.

والسيف والرمح والقرطة والقنم. عباد الله. لقد بلغ شيخ الاسلام من الحضوة والرفعة والسمو المنزلة الى درجة انه استغنى علق بالشيخ والعالم والامام والمجتهد والمجدد.

وصار احسن اسمائه انه ابن سيمية. وصار احسن اسمائه انه ابن سيمية. لقد عاش في عصره فلاطين ووزراء واغنياء وشعراء.

ثم ماتوا. فماتت معهم اثارهم. وعاش ابن سيمية.

بلا امارة. ولا وزارة. ولا تجارة.

ولكن بقي معنا. ومع الاجيال من بعدنا. حيا في الضمائف.

ماثلا في النفوس. حاضرا في الدروس والمساديات العلمية. واسألوا اهل العلم عن الفتاوى والواسطية والتجمرية.

عباد الله الكتاب يعرف من اول صفحاته. ولقد نشأ شيخ الاسلام في بيت علم وسقوة وصلاح. فابوه شهاد الدين عبد الحليم صاحب قدم راسخة في الفقه والحديث وسائر العلوم.

وابن سيمية شبل من ذاك الاسد. لكن شبل تفوق على الاسد. لكن شبل تفوق على الاسد.

حفظ الله حفظ كتاب الله صغيرا وهو في السابعة. واتقن حفظ القرآن كحفظ الفاتحة. ثم انكب على علوم السنة.

يحفظها ويفهمها. وكان ايس من ايات الله في الحفظ. فقد صار مضرب المثل في الحفظ عند اصدقائه واعدائه.

واعترف الكل له بانه احفظ من رأوه. ولكن ليس حفظا فقط. بل حفظا بفهم.

وهذا الذي ميزه عن الاخرين. وكان يعطى الكتاب في صغره فيقرأه مرة فينتقش في دهنه. وكان يحضر المجالس والمحافظة العلمية منذ صغره.

فيتكلم ويناظر ويفهم الكبار. ويظهر الاسماع والارثار. ثم عرض على احد المشايخ وهو صديق واخبره انه شريع الشفظي.

فاختبره وامتحنه ثم قال الشيخ ان عاش هذا الصبي لا يكون لله شأن عظيم. فان هذا لم يرى مثله. فان هذا لم يرى مثله.

او كما قال. قال الحافظ البزار رحمه الله. كانت مخايل النجابة عليه.

كانت مخايل النجابة عليه في صغره لائحة. ودلائل العناية. عليه واضحة.

كأن العلم قد اختلط بلحمه وعظمه ودمه. فلم يكن مستعارا. بل كان شعارا له ودفارا.

قال الحافظ الزم لكان عنه. قد الان الله له العلوم. كما الان لداود الحديث.

وكان اهل المذاهب اذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا قد عرفوه من قبل. اتقن اللغة العربية نحوا وصرصا وبلاغة وزاد على هذا اجازته للغة العبرية والسركية واللاتينية. فانفتح له بهذا باب كل الثقافات والحضارات.

لم يكد يبلغ العشرين لم يكد يبلغ العشرين حتى تأخلى وجلس للفتوى والتدريب. فما ام مات والده. حتى قام ابن سيمية في مقامه.

يدرس الناس ويبفهم. وكان درسه الاول في يوم الاثنين. الثاني من محرم سنة ثلاث وثمانين وستمئة.

حضر هذا الدرس كبار علماء بمشقى وفضلاؤها. وكان لهذا الدرس اثرا كبيرا في نصوصهم. جعلهم يعترفون له بالتبحر العلمي.

وسرعة البديهة والفصاحة والجرأة. يقول ابن كثير عن ذلك الدرس الاول وكان درسا هائلا. وقد كتبه الشيخ ساجد زين الفزاري الذي كان حاضرا بكثرة فوائده.

وكثرة ما استحت له الحاضرون. وقال ابن رجب رحمه الله. وذكر درسا عظيما في البسملة.

يعني شيخ الاسلام في درسه الاول. وذكر درسا عظيما في البسملة. وهو مشهور بين الناس.

وعظمه الجماعة والحاضرون. واثنوا عليه ثناءا كبيرا. ثم جلس للتفكير في الجامع الاموي.

وكان يجتمع عنده خلق كثير. فسارت بذكره الركبان في تائر الاقاليم والبلدان. وكان يريد من حفظه في المجلس الواحد نحو كراسين او اكثر.

وبقي يفسر في سورة نور عدة سنين ايام الجمع. وقد وصف وقد وصف احد من استمعوا اليه طريقته في القاء دروسه. وصفا دقيقا يبعث على الاعجاب.

حيث قال الحافظ ابو حسن البزار رحمه الله. واما ذكر دروسه فقد كنت في حال اقامتي بدمشق لا افوتها. وكان لا يهيئ شيئا من العلم ليلقيه ويورده.

يعني ما في تحضير مسبق. فماذا كان يفعل؟ قال يجلس بعد ان يصلي ركعتين. فيحمد الله.

ويثني عليه. ويصلي على رسوله صلى الله عليه وسلم على صفة مستحسنة مستعددة لم اسمعها من غيره. ثم يشرع.

فيفتح الله عليه ايراد علوم وغوامض ولطائف ودقائق وفنون ونقول واستدلال بايات واحاديث واقوال العلماء ونصر بعضها وتبيين صحته او تزييف بعضها واضاح خجته واستشهاد باشعر الارب وربما ذكر اسماء ناظمها وهو مع ذلك يجري كما يجري السيء ويفيض كما يفيض البحر ويصير منذ ان يتكلم الى ان يترك كالغائب عن الاخرين مغمضا عينيه كانه في عالم اخر. وذلك كله مع عدم فكر او روية من غير سعجرف ولا توقف ولا لحم بل فيض الهي حتى يبهر كل ثانع وناضح. فلا يذال كذلك الى ان يصمت وكنت اراه حينئذ كانه قد فارى بحضرة من يشغله عن غيره.

ويقع عليه اذ ذاك من المهابة ما يرعد القلوب ويحير الارتار والعقول. ويلاحظ كل من يحبر عنده شدة شدة فعظيمه للنبي صلى الله عليه وسلم. وكان اذا فرغ من درسه يفتح عينيه.

ويقبل على الناس بوجه طلق بشيش وخلق دمس كانه قد نقهم حينئذ. وربما اعتبر الى بعضهم من التكثير في المقال مع ذلك الحال. كان درسه الذي يريده حينئذ قدر عدة تراريث ثم يعتذر لطلابه وللحاضرين.

انه والله اية. انه والله اية ثم من ايات الله. انه شيخ الاسلام.

قال الصفدي رحمه الله رأيته مرات بمدرسة القصة عينب الحنبلية. وكان اذا تكلم اغمض عينيه. وزحمت العبارات على لطانه.

فرأيت العجب العجاب. والحبر الذي ما له مشاكل في فنونه ولا ضريف. والعالم الذي اخذ من كل شيء بنصيف.

سهمه للاغراض مصيف. والمناضر الذي اذا جان في حومة الجدال رمى الخصوم من مباحثه باليوم الاصيف. وعاينت بدرا وعاينت بدرا لا يرى البدر مثله.

وخاطبت بحرا لا يرى العبر عائمه. قال واجتمعت به مرات. وكنت احضر دروسه في الحنبلية.

ويقع لي اثناء كلامه فوائد. وكان يقع لي اثناء كلامه فوائد لم اسمعها من غيرك. ولا وقفت عليها في كتاب.

من اين اذن؟ قلت انا انها الفتوحات الربانية. انها الفتوحات الربانية. وذلك فضل الله.

نؤتيه من يشاء. عباد الله. لقد منح الله شيخ الاسلام هيبة وقوة في الروح والشخصية.

فكانت تنبعث منه قدرة على التأتيق في نفوس سامعين. ولمظاراته نفاذ الى قلوب ناظريه. فكان مخالفه يحتبون الف حساب قبل الوقوف امامه.

بل ربما احتالوا حتى لا يقابلوه. ومن مظاهر هيبته ما كان يظهر على وجه اخيه دين وكان عالما من العلماء. وعن هذا يقول الحافظ ابو حفظ البنسان رحمه الله.

وما رأيت احدا. كان اشد تعظيما للشيخ من اخيه هذا. وكان يجلس وكان يجلس بحضرته كان على رأسه الطير.

وكان يهابه كما يهاب سلطانا. وكنا نعجب من ذلك. ونقول له ايه يا اخيه؟ من العرف والعادة ان اهل الرجل لا يحتشمونه كالاجانب بل يكون معه.

فضلا عن الاجنبي. ونحن نراك مع الشيخ كتلميذ مبالغ في احتشامه واحترامه. فيقول اني ارى منه اشياء لا يراها غيري.

اني ارى منه اشياء لا يراها غيري. اوجبت علي ان اكون معه. كما ترون.

قلت انا ليسه اخبرنا بما كان يراه. ليسه اخبرنا بما كان يراه. ومن مظاهر حيبته ان الملوك والامراء والسجار والكبراء كانوا طوع امره.

خاضعين لقوله وفعله. ولقد مر بنا ماذا صنع بغازان سلطان التتار. انه شيخ الاسلام ابن فيمية.

فماذا عساني ان اخبركم عنه؟ او ماذا اقول؟ هل احدثكم عن قوة ايمانه؟ ام اخبركم عن اخلاقه في طلب الحق والتجاوز له؟ ام اسمعكم بعضا من اخبار ورعه وزهده وفراغه عن الدنيا واسبابها؟ ام تريدون ان تعرفوا كيف كان يقضي ويقسم اوقاته؟ ام اقل على مسامعكم صفحات عن تواضعه وحلمه وعفوه عن الاخرين وكرمه وجهده؟ ام اتبعتم عن ثباته وجرأته في القول ام اسمعتم عن ثباته وجرأته في قول الحق وفراسته؟ اما ادهشكم ما ذكرت لكم عن شجاعته وقوة صبره واحتماله؟ لن استطيع ان ابترى ذلك الكلة. ولا بعضا منه. ويكفيكم ان تعلموا ان احد الباحثين قال لقد انلف في ابن تيمية اكثر من ثلاثة الاف كتاب.

انلف في ابن تيمية اكثر من ثلاثة الاف كتاب. ما بين لسالة وبحث وخطاب. ولكن فتساءلتم معي كيف كان له كيف اجتمعت له كل هذه الخصال وكل هذه الثفات وكل هذه العطايا الربانية؟ لابد ان اجيب على هذا التساؤل حتى نعرف في رقوة وهيبة ابن تيمية.

ان مصلة بالله وقوة العبادة والاخلاص وتعظيم حرمات الله عاش حياته لله فرفع الله ذكره واعلى قدره. يقول الحافظ الدهبي رحمه الله عن شيخ الاسلام. انه دائم الارتهاد.

كثير الاستغافة والاستعانة بالله. قوي الستوطن على الله. ثابت الجأس.

له اوراد واذكار يجمنها. ولم ارى مثله في ارتهاداته واستعانته بالله. وكثرة توجهه.

كان في ليله منتردا عن الناس. خاليا بربه عز وجل. بارعا اليه.

مواضبا على فلاوة القرآن. مكررا لانواع العبادات الليلية والنهارية. وكان اذا دخلت الصلاة.

ولاحظوا الفرق. ولاحظوا الفرق. وكان اذا دخلت الصلاة.

ترتعد صرائفه واعضاؤه. حتى يميل يمنسا ويسرى. يقول سلميده ابن القيم رحمه الله.

وحضرت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله مرة. صلى الفجرة. ثم يذكر الله تعالى الى قريب من انتصاف النهار.

ثم التفت الي وقال هذه غدوتي. ولو لم أتغدى الغداء فقطت قوتي. وكان يقول يعني شيخ الاسلام ذكر الله كالمائل السمكة.

ذكر الله كالمائل السمكة. ومما عرف عنه رحمه الله. كثرة استغفاره.

ليفتح عليه في فهم المسائل العلمية. وفي ذلك يقول هو رحمه الله. انه ليقف خاطري في المسألة.

والشيء والحالة. فاستغفر الله تعالى الف مرة. او اكثر او اقل.

حتى ينشرح الصدر. وينحل اشكال ما اشكل. ويقول ربما طالعت على الآية الواحدة.

نحو مئة تفتير. ثم اسأل الله الفهمة. واقول يا معلم آدم وابراهيم علمني.

وكنت اذهب الى المساجد المسجورة. ونحوها امرغ وجهي في السراب. واسأل الله واسأل الله تعالى واقول يا معلم ابراهيم علمني.

ويا محسن سليمان فاسلمني. يقول الحافظ البنسان رحمه الله. وكان اذا احرم بالصلاة تكاد تنخرع القلوب.

لهيئة اتيانه بتشكيرة الاحرام. فاذا دخلت الصلاة تبتعد اعضاؤه. حتى يميل يمنسا ويثرث.

ومن اسرار قوته كثرة الدعاء. كما قال ابن القيم رحمه الله. وكان رحمه الله يتحرص تصدق بين الصلاة والدعاء ما امكنه.

لانه كان يقول اذا استحبت الصدقة بين يدي مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم فاستحبابها بين يدي مناجاة الله عند الصلوات والدعاء اولى من ذلك. ويواصل ابن القيم الحديث عن شيخه قائلا ومن اعظم ما كان ينعم به شيخ الاسلام نعمة الفقر والتدلل الى الله. ومن اعظم ما كان ينعم به شيخ الاسلام.

نعمة الفقر والتدلل الى الله. وعزة في العبودية لله. هذا باب لم يطرقه الا قليل.

هذا باب لم يطرقه الا قليل. وعن ذلك يقول ابن القيم رحمه الله. ولقد شاهدت من شيخ الاسلام ابن كيمية.

فدف الله روحه من ذلك. امرا لم اشاهد من غيره. وكان يقول كثيرا ما لي شيء.

ولا مني شيء. ولا في يا شيخ. وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت.

انا المكدي. وابن المكدي. وهكذا كان ابي وجدي.

والمكدي هو الذي يلحق في المسألة. وهذا دليل على افتقاره الى الله. واذهاره للزل والانكسار له سبحانه وتعالى.

وكأن الله اني الى الان اجدد اسلامي. وكان اذا اثنى عليه خيوته يقول والله اني الى الان اجدد اسلامي كل وقت وما اسلمت بعد اسلاما جيدا. هكذا يقول شيخ الاسلام عن نفسه.

هكذا يقول شيخ الاسلام عن نفسه وعن اسلامه. فماذا عسانا ان نقول؟ انا التقير الى رب البرياتي. انا المسكين في مجموع حالاتي.

انا الظلم لنفسي وهي ظالمتي. والخير اياتنا من عنده يافي. كلمات اطلقها وابذى فيها فتره وتجلله.

عباد الله. ساقدم معكم اخر الصباحات في حياتي هذا العظيم. الذي سغل العالم واذهله.

يقول الله عز وجل كل نفس دائقة الموت. ويقول كل من عليها فان. ولقد مات ناسر الصنة.

مات ناسر الصنة وطامع الفدعة. بعد ان قدم للاسلام سنوات ما لم يقدمه غيره في قرون. مات شيخ الاسلام عن سبعة وستين سنة.

فضاها تتذب عن دين الله. وتحمل من اجل ذلك كل شيء. ولا ادل على تحمله.

وابتلائه وصبره. الا انه مات مكشونا في القلعة في دمشق. حيث عثم عليه بالسجن سنة سبعمائة وستة وعشرين.

وسبب ذلك انه حاربا مبتدعا في مسألة شد الرحال الى الاضرحات والقبور. فحرفوا كلامه. وغيروا الفاظة.

وابتروا عليه بما لم يقل. وكان قبلها سجن مراك ومراك. ولم يتبجن لهم اية تنادلات.

مات في سجنه الاخير؟ اكثر من سنتين. يقول السيخ على مدين البردالي رحمه الله. وكنت في من حضر الى القلعة.

حين علمنا بموت سيخ الاسلام. ودخلنا عليه انا والحافظ ابن حجاج المسجي رحمه الله. تكتفنا عن وجه السيخ.

وقبلناه. ونظرنا اليه. وعلى رأسه عمامته بعدد مغروضة.

وقد علاه السيخ اكثر مما فارطناه. واخبرنا اخوه بين الدين انه قرأ والسيخ منذ دخل القلعة ثمانين حكمة. ثم شرع في الحادية والثمانين.

فوصلنا فيها الى اخر اية في سورة القمر. وانتهت حياة السيخ على تلك الاية. اخر ما قرأ من الدنيا قول الله ان المتقين في جزمات ونهر.

في مقعب قدس عند مليك مكفدر. كان يختم القرآن كل عشرة ايام. لقد كان يوم موته يوما مشهودا.

لم تعرف في مشق مثله. لما سمع الناس بموته. تجمعوا حول القلعة.

وجاءوا من كل مكان. واستمع حجة عظيم من القارضة والعامة. يدخلون عليه اصواجا.

ومسجى. فكانوا يقبلون رأسه وناصيته. تلك الناصية التي لطالما وقفت.

وسجدت للملك العلامي. ثم ثم غسله الحافظ المسجد. وجماعة من كبار الصالحين.

وصلي عليه في القلعة. ثم اخذت الجنازة الى الجامع. وغصت الطرق.

كلها ما بين القلعة والمسجد بالنار. ووضعت الجنازة في الجامع. والجند قد احاطوها.

يحفظونها من شدة الضحام. وتزايد الضحام الى حب لا يبلغ. وتزايد الضحام الى حب لا يبلغ الاحترام والتقدير.

وقد طاح بينه هذا الضحام صائح يقول هكذا تكون جنائد ائمة اهل السنة. هكذا تكون جنائد ائمة اهل السنة. قال فتباك الناس.

وضجوا عند جماع هذا الطارق. ووبعت في موضع الجنائد المغطورة. وجلس الناس من تساهم وزحمتهم على غير سطو.

فالمرسوسين ربطا لا يتمكن احد من السجود الا بكلفة. ثم خرج الناس من كل مكان من ابواب الجامع. وتقضاعة اجتماع الناس الى ان ضاقت الرحاب والاجئة والاسواق باهدها ومن فيها.

واغلقت الاسواق والمساجر والمطاعم. والناس في بكاء وتهليل كل واحد يقاتل نفسه بذلك. في تناء وتأثر.

والنساء فوق الاصفحة. والنساء فوق الاصفحة من هناك. الى المقبرة يغشينا ويدعينا ويقلنا هذا العالم.

هذا شيخ الاسلام. هذا ابن سيمية. ثم قلنا بعد انصرني عليه على الرؤوس والاكبار.

واستدى الجحام. وعلت الاطوات المكاي والنهب والترخم عليهم. والتناء والجعائلة.

والقى الناس على نعش منابينهم. وعمائمهم وسيابهم. وطارفت النعل والعقاب.

وطارفت النعل والتواكب الارجل. والاقدام. وطقطت المنابين والعمائم عن الرؤوس.

والناس لا يستجدون الى حاجاتهم باستغالهم بالنظر الى الجنابة. وطار النعش على الرؤوس. طارفا يتقدم.

وطارفا يتأخر. وطارفا يقف حتى تمر الناس. قال احد من حضر الجنابة.

وكنت قد صليت عليه في الجامع. وكان لي مستشرف على المكان الذي صليتني عليه بظاهر دمشق. فاحذرت ان انظر الى الناس وكثرتهم.

فاشربت عليهم خير الصلاة. وجعلت انظر يمينا واجتمالا ولا ارى اواخرهم. فرأيتم ناسا.

فاتطبقوا وملأوا الارض كلها. قال ابن رجب. وصلي عليه صلاة الغائب.

في غالب بلاد الاسلام التربية والبعيدة. حتى في بلاد اليمن والصين. واخبر المساكرون انه نوديا باكتفين للصلاة عليه يوم الجمعة بقولهم الصلاة على ترجمان القرآن.

ولم يرى لجنابة احد ما رؤية لجنابتني من الوقار والهيبة. والعظمة والجلالة. وسعديهم الناس لها.

وسوفيرهم اياها. ولا عجب في ذلك. انه شيخ الاسلام.

بل ذكر ان بعض اليهود والنصارى خرجوا في جنازة. واتنى منهم خلق كثير. وساذى نصر من الاصاطف لذلك اليوم.

سهد الله به حيا وميتا. مات شيخ الاسلام. وذهب الى رحمة من الله ورضوان.

بعد جهاد بعشرات السنين. وضعها في نظال علمي يتخلى له نظام يتخلى له نظال حج والسيف. ما ضعف.

ما توانع نصرة الحق ومقاربة الباطل. ولا جان اسمه يرنو ويستمر بين الخالدين الى يوم القيامة. نصد الله على محبته.

نصد الله على محبته. ومحبة كل عباد الله الصالحين. فيا من تحب شيخ الاسلام.

هذه اخباره. فان كنت محبه صادقا فانشي على اثاره. تشبهوا بالصالحين ان لم تكونوا مثلهم.

انك تشبه بالصالحين فلاقوا. مات شيخ الاسلام وترك لنا من ميراث النبوة. السيء الكثير.

وهكذا هم العلماء. لم يورسوا درهما ولا دينارا. ولكن ورسوا علم.

من اخذ به فقد اخذ بحظ الوفير. اللهم اجل شيخ الاسلام عن الاسلام واهل خير الجزاء. اللهم اغفر له وارحمه.

واجمعنا وإياه على حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. اللهم علمنا ما ينفعنا. وانفعنا بما علمتنا.

وزدنا علما. اللهم فقهنا في الدين. واجعلنا من الهداة المنسدين.

وكما بدأت بالاعتدار عن الاطالات. اقسم بالاعتدار. واسليم واسليم على سيد الابراري والاخيار.

وعلى اله وصحبه اجمعين.